التزكية بأعمال القلوب

أعمال القلوب

١ المقصود بأعمال القلوب

نقصد بأعمال القلوب: روح العبادة نفسها، والمادة الفعّالة للعبادة.

حيث توجد أعمال قلوب نريد أن نفعلها، مثل: الحب، والرجاء، والافتقار إلى الله، وأعمال نريد أن نتركها، مثل: الرياء، والعُجب، والكبر، والحسد.

بعض المشاكل:-

1- أننا مهملون في روح العبادة والمادة الفعّالة التي في العبادة، حيث تجد بعد فترة من التزامك عندما تقرأ في أحوال السلف والتابعين، وترى قدر العمل الذي كانوا يفعلونه في العبادة، تقول لنفسك: أين أنا من هؤلاء؟

2- أنك حتى لو قلت أنك ستفعل طاعات كثيرة وتحاول أن تفعل مثلهم، فكيف ستفعل ذلك مع ضيق الوقت؟

← يترتب على ذلك أن أعمالنا محدودة، وأيامنا محدودة، وأوقاتنا محدودة.

3- الكارثة الكبرى أننا نكتشف بعد سنتين أو ثلاثة من الالتزام أن هناك أمراض قلوب، ونسأل أنفسنا: كيف بعد هذه السنين توجد هذه الأمراض؟

مظاهر المشكلة: أعمال قليلة وضائعة، وأمراض قلوب، وشهوات، وانشغال بالدنيا، وتنافس عليها، ووقتنا ضيق؛ كل هذا، وكيف سننافس السلف؟

- يبدو أننا عندما التزمنا اهتممنا بالأعداد والأرقام فقط، ولم نهتم بالحقائق.

← فبالتالي نرى مشاكل كثيرة جدًا في أوساط الملتزمين أنفسهم بعد سنوات من الالتزام.

- **فالحل والخروج من هذه الأزمة هو الاهتمام الشديد بالكيفيّات، وهي حال القلوب عند العمل، وهو الذي سيجعل عملي القليل كبيرًا، ووقتي الضيق أعمل فيه أعمالًا كثيرة، بجانب معالجة الأمراض التي توجد في القلب، وزيادة جانب الحب والخوف والرجاء... إلخ.**
- **في الحديث: لماذا سبق الدرهم مائة ألف درهم؟**

لأن حال قلب الأول غير حال قلب الثاني، وكذا الأمر في الصلاة وغيرها.

٢ نقولات عن باب أعمال القلوب

- **يقول مهيب بن الورد رحمه الله تعالى:** (لا يكن همُّ أحدكم في كثرة العمل، وليكن همُّه في إحكامه وتحسينه؛ فإن العبد قد يُصلّي وهو يعصي الله في صلاته).
- **كان السلف يتواصون بثلاث كلمات:**

الكلمة الأولى: (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته).

الكلمة الثانية: (ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس).

الكلمة الثالثة: (ومن اهتمَّ بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه).

- **أبو خزيمة رحمه الله كان يقول:** (القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من حركات الأعمال في الصلاة والصيام ونحوها).
- **يقول ﷺ:** (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).
- **قال رجل لمحمد بن النضر رحمه الله:** (أين أعبد الله؟ قال: أصلح سريرتك واعبده حيث شئت).

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

← قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها:

(يا رسول الله، أهُم الذين يزنون ويسرقون؟

قال ﷺ: لا يا ابنة الصديق، إنما هم الذين يُصلّون ويصومون ويحجّون، ويخافون ألا يتقبّل الله منهم).

٣ لماذا أعمال القلوب

1- هي أساس النجاة من النار والفوز بالجنة.

– من وقفات حديث: (غير أني لا أجد في نفسي غِلًّا لأحدٍ من المسلمين):

- هذا الرجل من الأنصار كان شديد التواضع، ولا يحب الظهور، دخل بنية الوضوء والصلاة فقط، ولم يجلس مع النبي ﷺ والصحابة؛ لأنه يعلم انشغال النبي، ولا يأتيه إلا لحاجة ضرورية، بخلاف بعض الناس اليوم الذين يدخلون مجال الدعوة بدافع الظهور والتقرب من الدعاة لا الإخلاص.
- هذا الرجل منضبط، يأتي في نفس الميعاد، وله أوراد، ويهتم بحياته.
- هذا الرجل كريم، ولم يتردد في موافقة عبد الله بن عمرو بن العاص على المبيت معه في المنزل، وليس فضوليًا؛ إذ لم يسأله عن المشكلة التي بينه وبين والده، وهذا عمل قلبي.
- هذا الرجل يعظّم الله، والله عز وجل رقم واحد في قلبه، بدليل أنه عندما يقلق من نومه في الليل يذكر الله.
- هذا الرجل لا يقول إلا كلامًا طيبًا، ولديه عبادة المراقبة.
- هذا الرجل لديه عبادة الإخلاص؛ حيث لم يزد ولم ينقص من عمله شيئًا بسبب قدوم عبد الله بن عمرو بن العاص إليه.
- هذا الرجل سليم الصدر، ولا يجد شيئًا تجاه المسلمين.

2- خلل في عمل القلوب يهدم أعمال الجوارح.

- فمن الممكن أن تفعل تعمل جوارح قويًا جدًا، ويأتي عمل قلب واحد فيدمّره، مثل: الرياء، والكبر، والعجب، والحسد.

3- أعمال القلوب أشق من أعمال الجوارح.

4- أعمال القلوب تُعظّم أعمال الجوارح.

5- أعمال القلوب تقوم أحيانًا مقام أعمال الجوارح.

- حيث من الممكن أن أعمال القلوب تجعلك تفعل أعمال جوارح كثيرة وأنت جالس في مكانك، وذلك بصدقك في طلب هذا العمل.

6- أعمال القلوب تُضاعَف بلا حدود.

- لأن عمل الجوارح محدود؛ فالصلاة تنتهي بإتمامها، والصوم ينتهي عند المغرب، ولكن العمل القلبي مستمر؛ طول اليوم يوجد رجاء، ويوجد خوف، وتوجد محبة، ويوجد تواضع، فبالتالي أجره لا ينتهي، ومضاعفاته لا تنتهي.
- كذلك عمل القلب يستمر بعد الموت، بخلاف عمل الجوارح؛ فعند دخولك القبر لا تستطيع فعل طاعة، ولكن يوجد خوف ويوجد رجاء، ويوم القيامة كذلك لا تستطيع الصلاة أو الصوم، ولكن يوجد خوف ورجاء.

7- أعمال القلوب هي سر سعادة الإنسان الحقيقية.

- السعادة الحقيقية في أعمال القلب، مثل الأنس بالله، والخلوة به، والحب، والرجاء، والخوف.

التزكية بأعمال القلوب

تابع أعمال القلوب

١ أمثلة في سماء أعمال القلوب

- الرجل الذي نحَّى غصنًا عن طريق المسلمين.
- أويس القرني معروف أنه خير التابعين، حيث قال الرسول ﷺ «خير التابعين أويس القرني»، فكان إذا أمسى يبحث عن كل شيء زيادة في البيت ويتصدق به، ثم يقول: «اللهم من مات جوعًا فلا تؤاخذني به، ومن مات عريانًا فلا تؤاخذني به».
- الرجل الذي سقى كلبًا.
- يقول بعض السلف: «رُبَّ طاعة أدخلت صاحبها النار، ورُبَّ معصية أدخلت صاحبها الجنة»، وهنا بسبب أعمال القلوب.
- ويقول ابن المبارك: «رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية».

٢ كيف تعرف أعمال قلبك

1- مراقبة حال القلب في كل موقف مراقبة دقيقة.
- فإذا شعرت بمرض قلبي، تخلص منه أولًا بأول حتى لا يأتي في وقت من الأوقات وينفجر ويهلكك.

2- استنتاج العمل القلبي الذي خرج: هل هو إيجابي أم سلبي.
- فإذا وجدت أنه إيجابي، تشكر الله عز وجل عليه وتقوم بزيادته، وإذا وجدت أنه سلبي، تقوم بمعالجته، وتتخذ خطوات عملية.
- سيظل متابعتك لأعمال قلبك عملًا دائمًا طوال الحياة، لأن الشيطان لن ييأس من أن يفسد قلبك إلى أن تموت.

الواجب العملي

الواجب الفعلي:

- قراءة ٦ أرباع من القرآن يوميًا [١٥ صفحة]، على أن يكون اثنان من هذه الأرباع في صلاة الليل، مع الاهتمام بالتدبر والتفسير وكتابة الواجبات العملية.
- الاستمرار في ورد الدعاء للوالدين، والأهل، والصحبة، والأقارب، وأهل العلم.
- الاستمرار في قراءة كتاب "رياض الصالحين" بطريقة تفاعلية، مع العزم على التطبيق.
- متابعة أنفسنا في صلاة الفجر في وقتها.
- سماع سلسلة "قلبك أبيض"، درس أو درسان يوميًا، مع تدوين الملاحظات [مدة الدرس حوالي ٧-٨ دقائق] للمهندس علاء حامد.
- الاستمرار في قراءة كتاب "لأنك الله" [قراءة ٣ أسماء يوميًا]، والأفضل قراءتها أيضًا من كتاب "أنيس المحبين".
- الاستمرار في سماع المحاضرة العلمية أسبوعيًا، مثل: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن.

الواجب التركي:

ترك معصية ثالثة تختار تركها هذا الأسبوع.

- ترك الأغاني.
- ترك الإباحية.
- ترك العادة السيئة.
- ترك الأفلام والمسلسلات.
- ترك العلاقات المحرمة.

وابدأ بترك الأسهل، ثم الأصعب بإذن الله.